IUG Journal of Humanities Research
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-3179
P-ISSN: 2410-3160
IUGJEPS
Vol 31, No 1, 2023, pp 22 - 34

Received on (28-05-2022) Accepted on (16-08-2022)
https://doi.org/10.33976/IUGJHR.31.1/2

A Critical Analysis of the Prophetic Hadith : A Stylistic Study

Dr. Wafa M. Awad Allah[*1]
Islamic University of Gaza[*1]
[*]Corresponding Author: wafaa.mostafa.ps@gmail.com

Abstract:
This study aims at examining the noble hadiths of the Prophet as a stylistic study, by identifying the nature of stylistics as a modern critical method, and applying it to the hadith under study. The study came out with a number of findings, including: The vocal syllables in the noble hadith, of all kinds, their frequency, and their function are in agreement with the general atmosphere of the hadith, and contributed to the delivery of the desired message, as most of them were short sections that gave an atmosphere of facilitation and approximation, and closed and open medium syllables that suited the movement in the noble hadith. The Prophet's hadith was distinguished by the predominance of nouns over verbs, and this is because nouns give the attribute of permanent stability, because they are not restricted to a specific time. The verbs in the hadith gave clear semantic significance in proving what the hadith indicated the inevitability of the end of the heavenly laws with the Muhammad's message. The Hadiths are the predominated by tight structure over other attributes in the hadith, which is a stylistic feature in of the heavenly laws. The tight structure gives the meaning of safety, reassurance, and protection from all evil.
Keywords: The Prophetic Hadith, A Critical Analysis, A Stylistic Study.

تحليل نقدي للحديث الشريف "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي..." دراسة أسلوبية

د. وفاء مصطفى عوض الله[1]
الجامعة الإسلامية-غزة[1]

الملخص:
هدف البحث إلى دراسة الحديث النبوي الشريف "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي..." دراسة أسلوبية، من خلال التعرف إلى ماهية الأسلوبية كمنهج نقدي حديث، وتطبيقها على الحديث النبوي محل الدراسة، وقد خرج البحث بعدد من النتائج منها: أدت المقاطع الصوتية في الحديث الشريف، بكافة أنواعها، ونسب تكرارها، وظيفتها في اتفاقها مع الجو العام للحديث، وساهمت في إيصال الرسالة المرجوة منه، حيث كان أغلبها من المقاطع القصيرة التي أعطت جو من التسهيل والتقريب، والمقاطع المتوسطة المنغلقة، والمفتوحة التي ناسبت الحركة في الحديث الشريف. تميز الحديث النبوي بغلبة الأسماء على الأفعال، ويرجع ذلك لأن الأسماء تضفي صفة الثبات الدائم، لعدم تقيدها بزمن معين، كما أدت الافعال في الحديث دلالات واضحة في إثبات ما جاء به الحديث من حتمية ختم الشرائع السماوية بالرسالة المحمدية. وحقق غلبة حقل البنيان على غيره من الحقول في الحديث ملمحاً أسلوبيا في أن الشرائع السماوية هي بناء عظيم وحصن حصين، تم اكتماله وجماله برسالة محمد ﷺ، وفي البناء معنى الأمان، والاطمئنان، والحفظ من كل سوء.

كلمات مفتاحية: الحديث الشريف، تحليل نقدي، دراسة أسلوبية.

مقدمة:

لقد تقدمت المناهج النقدية في العالم العربي تقدماً ملحوظاً، فالنقاد العرب قد شغفوا بها، وأخذوا بلجامها في دارسة وتحليل وتقويم النص الأدبي، ومن هذه المناهج الأسلوبية.

وتعد الأسلوبية أو علم الأسلوب من أهم مفاتيح النص الأدبي في النقد المعاصر، ووسيلة فعالة في مقاربة النصوص من خلال الوسائل الإجرائية المتنوعة التي تمنحها للقارئ وتسمح له بدخول عالم النص المغلق من مداخل عديدة تثمر في كل مقاربة إبداعاً نقدياً يوازي في أهميته الإبداع الأدبي[1].

لقد احتوى الحديث النبوي الشريف على خصائص أسلوبية بوأته مكانة عالية، لما يتمتع به قائله صلى الله عليه وسلم من فصاحة، وقدرته على توظيف الخطاب الأدبي في خدمة تبليغ الرسالة، وشرح الشريعة، وإقناع المخاطبين بأبسط الطرق، وأبسط التراكيب التي تتيحها إمكانات اللغة. "فلم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً"[2].

وقد أولى الرسول ﷺ طريقة التشبيه وضرب الأمثال أهمية كبرى باعتبارها أسلوباً فعالاً ومؤثراً في عملية تمكين العقيدة، ونشر الشريعة، وتعليم القيم الأخلاقية وتنميتها، حيث استعان لتوضيح دعوته بطريقة التشبيه وضرب الأمثال من خلال توظيف ما يشاهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت رقابة حواسهم، وفي متناول أيديهم، وذلك ليكون وقع الموعظة في النفس أشد وفي الذهن أرسخ.

إن منهج ضرب الأمثال في البيان النبوي لم يأت لغاية فنية بحتة كغاية الأدباء في تزيين الكلام وتحسينه، وإنما جاء لهدف أسمى، وهو إبراز المعاني في صورة مجسمة بغية توضيح الغامض، وتقريب البعيد، وإظهار المعقول في صورة المحسوس.

وسيكون موضوع هذا البحث دراسة أسلوبية لأحد الأحاديث النبوية التي عنيت بضرب الأمثال، وهو الحديث النبوي الشريف التالي:

عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: "**إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويتعجّبون له، ويقولون: هلاّ وُضِعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة؛ وأنا خاتم النبيين**"[3].

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

1. ما هي الأسلوبية كمنهج نقدي حديث؟
2. كيف يمكن توظيف المنهج الأسلوبي في تحليل الحديث النبوي؟
3. ما هي مجالات الأسلوبية التي يمكن إسقاطها على الحديث النبوي؟

أهداف البحث:

1. التعرف على ماهية الأسلوبية كمنهج نقدي حديث.
2. إظهار الأسلوبية الصوتية، التركيبية، البلاغية، المعجمية في الحديث الشريف موضع البحث.
3. التعمق في نص الحديث، وإظهار خفايا الجمال والفنية فيه، ودلالاتها.

(1) بودوخة وآخرون، الأسلوبية مفاهيم نظرية، ص9.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2/ ص17-18.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، 645/6، رقم الحديث 3535. وصحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل، 51/15، رقم الحديث 5920.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث أولاً في تناوله لنص شريف من كلام رسول الله ﷺ، كما أن أهميتها تنبع أيضاً من تناولها التحليل الأسلوبي والذي يفيد في فهم النص، واستكشاف ما فيه من جوانب فنية وجمالية، من خلال التعامل مع الاستخدامات اللغوية ودلالاتها في النص الأدبي، والتفاعل مع الخواص الأسلوبية المميزة والمكتشفة بطريقة علمية سليمة.

منهج البحث:

استخدم البحث المنهج الأسلوبي من خلال النفاذ إلى عمق النص بما يحمله المنهج من إمكانيات دراسية تحليلية عميقة، يمكن من خلالها رصد جماليات النص.

ماهية الأسلوبية:

نشأة الأسلوبية:

الأسلوبية أو علم الأسلوب هو مصطلح حديث يعبر عن دراسة الأسلوب في اللغة حين يمارسها الإنسان كلاماً ينطق به أو يكتبه، وقد تكاثرت تعريفات الأسلوب عند العلماء، ولعل أشهرها أن الأسلوب كلاماً ينطق به أو يكتبه، وقد تكاثرت تعريفات الأسلوب عند العلماء، ولعل أشهرها هو "محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل[1].

وحيثما وجد الأسلوب وجدت الأسلوبية، وقد عرفت كلمة style في اللاتينية القديمة، وتعني الريشة أو القلم، ثم استخدمت في الفن المعماري، ونحت التماثيل، ثم دخلت مجال الدراسات الأدبية حتى أخذت معناها الجديد الذي بلوره الفرنسي (شارل بالي) أول الأمر، ثم أخذ المصطلح يتعدد ويتشعب إلى رؤى مختلفة في العالم الغربي"[2].

ولعل التصورات الأولية للدراسة الأسلوبية قديمة في المعرفة الإنسانية، ولكن غاياتها لم تتبلور، ومناهجها لم تتشكل إلا في العصر الحديث[3]، وقد عُد الفرنسي شارل بالي (1865–1947م) أول من اتجه تجاه الدراسات الأسلوبية ضمن علم اللغة الحديث، حتى تكاملت قواعده على يده نحو عام 1902م، وقد أيده مجموعة من العلماء والمفكرين أول الأمر، ومضوا معه في الاتجاه الأسلوبي في دراسة اللغة، ولكن ما لبثوا أن انفضوا عن فلسفة بالي واتجهوا اتجاهات أخرى مختلفة ومتضاربة، فدخلت الدراسات الأسلوبية في أزمة بسبب ما اعتراها من النقد والشك، خاصة وأن الطريق العلمي في بحثها قد اهتز، وتأثرت بفلسفات ما يسميه المسدي (التيار الوضعي)، إذ يقول: "السبب في ذلك أن الذين تبنوا وصايا بالي في التحليل الأسلوبي، قد سارعوا إلى نبذ العلمانية الإنسانية، فوظفوا العمل الأسلوبي بشحنات التيار الوضعي، فقتلوا وليد بالي في مهده، ومن أبرز هؤلاء في المدرسة الفرنسية ج. ماروزو وم. كراسو، وهذا الشطط العقلاني في منهج البحث هو الذي استفز ردود الفعل المضادة فتولد على يد الألماني ل. سبيتزر منهج أسلوبي لا مجازفة في شيء أن ننعته بتيار الانطباعية، فكل قواعده العملية منها، والنظرية قد أغرقت في ذاتية التحليل، وقالت بنسبية التعليل، وكفرت بعلمانية البحث الأسلوبي"[4].

وقد امتدت أزمة الأسلوبية حتى عام 1941م، حينما عبر جولس ماروزو عنها، إذ كانت الدراسات الأسلوبية تتذبذب بين موضوعية اللسانيات، ونسبية الاستقراءات، وجفاف المستخلصات، فسعى ماروزو لإيجاد أسلوبية منبثقة من علم اللسانيات، وظلت الأسلوبية تتطور وتتعقل حتى استقر الباحثون في الستينات من القرن العشرين على شرعيتها، فانعقدت ندوة عالمية في جامعة أنديانا بالولايات المتحدة عام 1960م حضر إليها أبرز اللسانيين والنقاد، وانضم إليهم علماء النفس وعلماء الاجتماع، وكان محورها الأسلوب، ألقى فيها جاكبسون محاضرته حول (اللسانيات والإنشائية) أكد فيها على العلاقة الوثيقة بين الأسلوبية واللسانيات والأدب،

(1) فضل، علم الأسلوب مبادئه، ص116.

(2) النحوي، الأسلوب والأسلوبية، ص145.

(3) المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص120.

(4) المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص20–21.

وفي عام 1965م ترجم ت. تودروف أعمال الشكلانيين الروس إلى الفرنسية، فازداد اللسانيون ونقاد الأدب اطمئناناً إلى ثراء البحوث الأسلوبية واقتناعاً بمستقبل حصيلتها الموضوعية، فقد اعتبر الألماني س. أولمان عام 1969م الأسلوبية حينها من أكثر أفنان اللسانيات صرامة، على ما كان يعتري أهداف هذا العمل الوليد ومناهجه ومصطلحاته من ترد، وكان يتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي واللساني معاً"[1].

ولكن استقرار الأسلوبية لم ينه كل إشكالاتها، بل ظل بعضها مدار بحث واختلاف بين نقادها، كعلاقة الأسلوبية باللسانيات، أهي جزء منها أم منفصلة عنها، إذ "يمكننا أن نعتبر الأسلوبية فرعاً من الدراسات الألسنية، ويمكن أن يرتبط بها في مثل هذه الحال قسم يختص بالظواهر الغريبة في النصوص الأدبية، أو نعتبرها علماً قائماً بذاته يأخذ بحرية واختيارية من طرائق الألسنة والدراسات الأدبية على حد سواء"[2].

تعريف الأسلوبية:

تعرف الأسلوبية بأنها المنهج التحليلي العلمي الذي يهتم بدراسة الأعمال الأدبية مستخدماً أفكار علم اللغة الحديث في إبراز الخصائص والسمات الأسلوبية المميزة لعمل أدبي أو أديب أو حتى حقبة زمنية[3].

كما تعرف بأنها: "فرع من اللسانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب في السياقات الأدبية وغير الأدبية"[4].

أهداف الأسلوبية:

تهدف الأسلوبية كونها منجهاً لتحليل النصوص ومقاربتها إلى تحليل النصوص الأدبية، وفق منهجية نقدية دقيقة، ودراسة الأسلوب في مختلف صورة التركيبية، والصرفية، والصوتية، والدلالية من خلال البلاغة المعيارية التي كان يعتمد عليها النقد القديم اعتماداً كلياً إضافة إلى تجرد الناقد من انطباعية النقد عند تحليله ومقاربته النصوص، حتى يتم وصف الأسلوب وصفاً علمياً يعتمد على منهجية محددة.

وتستعين الأسلوبية بالعلوم الأخرى في عملية استجلاء حقائق النصوص، حيث يتم ربط الأسلوب بوجدان الكاتب، ونفسيته وانفعالاته وتطلعاته، من خلال الاستعانة بعلمي النفس والاجتماع.

كما وتهتم الأسلوبية بدراسة المعجم الشعري عبر الأسلوبية الإحصائية والوقوف على الحقول الدلالية للكاتب من خلال أسلوبه لرصد الظواهر الأسلوبية البارزة في النص والمسيطرة عليه بدقة بالغة من خلال استعمال علم الإحصاء الرياضي.

كما أن اهتمام الأسلوبية ينصب في المقام الأول على النص، أو الخطاب الأدبي أي على بنيته، كما يتناول التحليل الأسلوبي المقصد من النص، والهدف الذي يريد توصيله الأديب من خلال بنية نصه من خلال أساليبه المتعددة المحملة بالدلالات، من خلال التركيز على الانزياح، والاختيار، التركيب، والوظيفة الأدبية، والإيحاء وغيرها من المصطلحات التي تم طرحها في عملية مقاربة وتحليل النصوص أسلوبياً، فالأسلوبية تهدف إلى دراسة النصوص الأدبية عن طريق تحليلها لغوياً بهدف الكشف عن الأبعاد النفسية والقيم الجمالية والوصول إلى أعماق فكر الكاتب من خلال تحليل نصه[5].

(1) المرجع السابق، ص22–24.

(2) عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ص21.

(3) أبو العدوس، الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، ص24–32.

(4) أبو علي، البحث الأدبي واللغوي، ص71.

(5) سليمان، الأسلوبية، ص43.

الأسلوبية الصوتية:

تعنى الأسلوبية الصوتية بطرق أداء الكلام، وقدرة الأديب على اختيار ألفاظ تحمل أصواتها القدرة على تمثيل المعنى، وتأكيده في نفس المتلقي، وتساعد على تجسيد اللفظة في المخيلة، كأن مدلولها نصب الأعين، فتصبح أقرب فهماً، وأقوى وقعاً، وهذا يتبعه التأثير والإقناع.

وسنتناول في الأسلوبية الصوتية، المقاطع الصوتية وتحليلها، وتنوع الأصوات في الحديث، وخصائصها ، وأخيراً التكرار:

أولاً: تحليل المقاطع الصوتية:

المقطع الصوتي هو "الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت غلقاً كاملاً أو جزئياً"[1].

صوتي	إن	ن	م	ث	لي	و
مقطعي	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح
صوتي	و	م	ث	لل	أن	ب
مقطعي	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح
صوتي	يا	ء	من	قب	لي	ك
مقطعي	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح
صوتي	م	ث	ل	ر	ج	لن
مقطعي	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص
صوتي	ب	نى	بن	يا	نن	و
مقطعي	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح
صوتي	أج	م	ل	ـه	إل	لا
مقطعي	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح
صوتي	مو	ضع	ل	ب	ن	تن
مقطعي	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص
صوتي	من	زا	و	ي	تن	من
مقطعي	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص
صوتي	ز	وا	يا	هـ	ف	ج
مقطعي	ص ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح
صوتي	ع	لن	نا	س	ي	طو
مقطعي	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ح

(1) البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات، ص77.

صوتي	فو	ن	به	و	ي	ت
مقطعي	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح
صوتي	ع	ج	بو	ن	له	و
مقطعي	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح
صوتي	ي	قو	لو	ن	هل	لا
مقطعي	ص ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح
صوتي	و	ض	عت	ها	ذ	هل
مقطعي	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ص
صوتي	ل	ب	ن	ت	قا	ل
مقطعي	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح
صوتي	ف	أ	نل	ل	ب	ن
مقطعي	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح
صوتي	ت	و	أ	نا	خا	ت
مقطعي	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح
صوتي	من	ن	بي	ي	ن	
مقطعي	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	

ويوضح الجدول التالي أنواع المقاطع، وعددها ونسبتها في الحديث الشريف، وذلك كما يلي:

أنواع المقاطع وعددها في الحديث الشريف

المقطع	مرات تكراره	نسبته
ص ح	59	%58.4
ص ح ص	18	%17.8
ص ح ح	24	%23.7
المجموع	101	%100

من الجدول السابق نرى أن عدد المقاطع الصوتية قد بلغ مائة وواحد، كان نصيب المقطع القصير (ص ح) منها تسع وخمسون مقطعاً، وهو ما نسبته ثمان وخمسون بالمائة تقريباً من النسبة الكلية للمقاطع الصوتية في الحديث الشريف، أما المقاطع المتوسطة فقد بلغت اثني وأربعين مقطعاً، كانت نسبة المقطع الصوتي المتوسط المفتوح (ص ح ح) أربع وعشرون بالمائة تقريباً، أما المقطع الصوتي المتوسط المغلق (ص ح ص) فقد بلغت نسبته ثمانية عشر بالمائة من النسبة الكلية للمقاطع الصوتية في الحديث الشريف.

من المعلوم أن المقاطع الثلاث في الجدول (ص ح/ ص ح ح / ص ح ص)، هي الأكثر انتشاراً في الكلام العربي، لخفتها على اللسان, ووجودها يدل على خلو الأصوات من التعقيد والعجمة –عند السامع، وقد كانت الغلبة للمقطع القصير

(ص ح) ليتناسب مع الجو العام للحديث الشريف، حيث أن الرسول ﷺ أراد أن بضرب هذا المثل التسهيل والتقريب للمعنى الذي أراده، فتناسب المقطع القصير السهل، غير المتكلف فيه مع هذا الجو، أما المقاطع المتوسطة فقد تنوعت ما بين المقاطع المفتوحة، والمغلقة، مع تقارب نسبة وجودها في الحديث الشريف، مع رجحان المقطع المتوسط المفتوح بدرجة قليلة، ليتناسب مع الحركة التي في الحديث الشريف، من بناء البنيان، والطواف حوله، التعجب منه، كما أن المقاطع المغلقة، والتي ينغلق معها النفس تتفق مع ما يعنيه الحديث من الحتمية والإحكام في أنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء.

وبناءً على ما تقدم فإن المقاطع الصوتية في الحديث الشريف، بكافة أنواعها، ونسب تكرارها، أدت وظيفتها في اتفاقها مع الجو العام للحديث، وساهمت في إيصال الرسالة المرجوة منه.

تنوع الأصوات في الحديث، وخصائصها:

لقد توسعت وتعمقت الدراسات الصوتية الحديثة بسبب تطور الدراسات اللغوية، وزيادة قدرة العلماء على دراسة الأصوات، وفهم ما يتعلق بها، ومما برز في الدراسات اللغوية الصوتية الحديثة، دراسة توافق الأصوات الواردة في النص وتنوعها وخصائصها، مع مضمونه ومعانيه ودلالاته، وكذلك أثر الأصوات الواردة في النص، وتنوعها وخصائصها على المتلقي، وسنتناول هنا دراسة بعض الصفات والخصائص الصوتية المتمثلة في (الجهر والهمس، الشدة والرخاوة والتوسط)، ونحصي ورودها وتنوعها في الحديث الشريف، وأثر هذا التنوع، وعلاقته بمضمون الحديث الشريف.

الجهر والهمس:

يوضح الجدول التالي توزيع الأصوات في الحديث الشريف من حيث الجهر والهمس، وتكرار كل منها، والنسبة المئوية لها:

الجهر		الهمس	
الصوت	التكرار	الصوت	التكرار
ب	9	ت	7
ج	4	ث	3
ذ	1	خ	1
ر	1	س	1
ز	2	ط	1
ض	2	ف	2
ع	3	ق	3
ل	15	ك	1
م	8	ه	6
ن	15	–	–
و	9	–	–
ي	10	–	–
المجموع	79	المجموع	25
النسبة	%75.9	النسبة	%24.1

من الجدول السابق نلاحظ الغلبة العظمى في الأصوات الواردة في الحديث من حيث الجهر والهمس، هي للأصوات المجهورة، وهي غلبة طبيعية تتفق مع نسبة ورود الأصوات المجهورة إلى المهموسة في اللغة بصورة عامة، وتتفق أيضاً مع ميل العرب إلى استخدام الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة[1]. وتعطي الأصوات المجهورة طابعاً صوتياً وسماعياً أقوى من المهموسة، وقد ساهمت هذه الأصوات على ترسيخ المعاني القوية التي يسعى الحديث إلى تحقيقها، في أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء، وببعثه أتمت

(1) أنيس، في اللهجات العربية، ص94–95.

الشرائع السماوية اكتمالها وجمالها. ومن المعلوم أن الأصوات المجهورة تحقق الوضوح السمعي بسبب طول الصوت لها، فالزمن الذي يستغرقه النطق بهذه الأصوات أطول من غيره، وإيضاح النبي لأصوات كلمات حديثه يتناسب مع عادات العرب في حبهم لجهارة الصوت.

الشدة والرخاوة والتوسط:

يوضح الجدول التالي توزيع الأصوات في الحديث الشريف من حيث الشدة، والرخاوة، والتوسط، وتكرار كل منها، والنسبة المئوية لها:

الأصوات الشديدة		الأصوات الرخوة		الأصوات المتوسطة	
الصوت	التكرار	الصوت	التكرار	الصوت	التكرار
أ	6	ث	3	ر	1
ب	10	خ	1	ل	15
ت	6	ذ	1	م	8
ض	2	ز	2	ن	15
ط	1	س	1		
ق	3	ع	3		
ك	1	ف	2		
ج	4	ه	6		
		و	9		
		ي	10		
المجموع	33	المجموع	38	المجموع	39
النسبة	%30	النسبة	%34.5	النسبة	%35.4

من الجدول السابق يُلاحظ تقارب نسب الأحرف من حيث الشدة والرخاوة والتوسط، وقد ساهمت هذه الأصوات في تشكيل بعد إيقاعي خاص، وذا دلالة معنوية في النص، وتساعد في تشكيل المعنى وإبرازه. فإن تنوع الأصوات من حيث الشدة والرخاوة، والتوسط، يعطي توازناً للنص يؤثر على المتلقي، ويزيد من قوة تأثره.

التكرار:

التكرار ظاهرة صوتية ذات بعد دلالي، فهو يضفي على النص نبضات إيقاعية ترفع من درجة التفاعل بين الصوت والدلالة، وهو كاشف عن نقطة حساسة تشكل اهتمام صاحب النص، فالتكرار "ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه"[(1)].

وقد ظهر التكرار واضحاً في الحديث الشريف، في عدد من المواضع، وهي:

- مثلي، ومثل، كمثل.
- بنى، بنياناً
- زاوية من زواياه.
- اللبنة، اللبنة.
- أنا هذه، أنا خاتم.

وإن تكرار هذه الكلمات يعد أداة فاعلة في تعميق شعور النبي ﷺ في نفس المتلقين، وهو إضافة صوتية تلفت النظر إلى بؤرة اهتمامه، ونقطة تركيزه.

(1) الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص276.

السجع:

يحقق السجع ضبط إيقاعي له تأثيره على السامعين، فالنفس تطرب لوقع الموسيقى وتنجذب إليه، ومن السجع في الحديث الشريف، قوله صلى الله عليه وسلم: (إن مثلي، من قبلي)، وقوله: (يطوفون به، يتعجبون له).

وإن السجع بهذه الصورة المعتدلة، يجعل الحديث أسرع حفظاً، وأسرع تداولاً على اللسان، وفيه جذب للأذهان، وكل هذه من المزايا الأسلوبية للسجع.

الأسلوبية التركيبية:

إن النسيج النصي عبارة عن مجموعة من الجمل والأنساق اللغوية التي ركبت تركيباً معيناً، أفضى بالتالي إلى دلالة معينة، تنم عن قدرة الكاتب وإبداعه، فالنص في حقيقة الأمر عبارة عن مجموعة كبيرة من "البنى اللغوية وبقدر ما يستطيع الأديب أن يؤلف بينها خصوصية متفردة، بقدر ما يمتلك ناصية الجمال الفني والسمو في إبداعه الأدبي، إن العمل الأدبي كثيراً ما تظهر عبقريته من خلال اللحمة التركيبية التي تسوده"[1].

	الأسماء	الأفعال
التصنيف	مثلي، مثل، الأنبياء، قبلي، كمثل، رجل، بنياناً، موضع، لبنة، زاوية، زواياه، الناس، به، له، هذه، اللبنة، اللبنة، أنا، خاتم، النبيين.	بنى، أجمله، فجعل، يطوفون، يتعجبون، يقولون، وضعت، قال.
العدد	20	8
النسبة	%71.4	%28.6

من الجدول السابق، نلاحظ أن ورود الأسماء في الحديث الشريف كان غالباً على ورود الأفعال، فقد وردت الأسماء بنسبة واحد وسبعون بالمائة تقريباً من مجموع ورود الأسماء والأفعال، بينما وردت الأفعال بنسبة تسع وعشرين بالمائة تقريباً، وإن لغلبة الاسم في هذا الحديث ملمح أسلوبي لافت، حيث تضفي رؤية الأسماء صفة الثبات الدائم "وسر ذلك أن الفعل مقيد بالزمن، فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي، والمضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب، في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل وأعم وأثبت"[2].

وعند النظر إلى أفعال الحديث نجد أن لكل فعل دلالته الخاصة به حسب الزمن الذي حدث فيه الفعل، ويغلب على الحديث الأفعال في الزمن الماضي، والتي تدل على حدوث شيء قبل زمن التكلم، (بنى، أجمل، جعل، وضعت، قال)، وهي جاءت لتثبت ما جاء به الحديث أن النبي ﷺ ، هو خاتم الأنبياء، وهو أمر قد انتهى، وثبت. وقد ضرب النبي ﷺ هذا المثل للكفار لمّا استغربوا أن يكون باب النبوّة مسدودا، وذلك لتتقرّر هذه الحقيقة في نفوسهم[3]،وليعلموا أن لا حاجة لأيّ رسالة بعد رسالته ﷺ.

الجمع والمفرد:

يوضح الجدول التالي، الألفاظ التي جاءت على صيغة الجمع والمفرد، وذلك كما يلي:

الجمع	المفرد
الأنبياء، زواياه، النبيين	رجل، الناس، بنيان، لبنة

من الجدول السابق يلاحظ تنوع الألفاظ الدالة على الجمع, والمفرد وتقاربها من حيث العدد، وقد وظف كل منهما في الحديث ليتلاءم مع المعنى المراد من الحديث النبوي الشريف، فقد جاءت كلمة الأنبياء وزواياه بصيغة الجمع ليدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء جميعاً.

(1) أبو حميدة، الخطاب الشعري، ص227.

(2) السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص9.

(3) ينظر: ابن الملك، مبارق الأزهار، ج1/ص336.

أما المفرد فقد وظف معنى أن الشرائع السماوية على الرغم من تعددها إلا أن جميعها تصب في معنى واحد، وهو معنى التوحيد لله تعالى، حيث شكلت جميعها بنياناً واحداً حصيناً وجميلاً.

الجمل الخبرية، والجمل الإنشائية:

يسود على الحديث الشريف الأسلوب الخبري، وفي ذلك توكيد للدلالة، وصراحة في طرح المعاني وإقرارها. أما الجمل الإنشائية فلم يتجاوز حظها في الحديث الشريف إلا على جملة استفهام واحدة، وهي قوله: هلاّ وُضِعت هذه اللبنة؟

والاستفهام كما تدل صيغة الاستفعال، هو طلب الفهم، إلا أن أساليب استعمال هذه الصيغة تتعدد بحسب السياق فيخرج عن الغرض الأصلي إلى أغراض مجازية عديدة: مثل: الأمر، النهي، النفي، التشويق، التمني، التهكم التحقير، التسوية، الاستبطاء, وغيرها، وقد ورد الاستفهام في هذا الحديث في سياق ضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل من أجل تقريب الفكرة للإفهام ولبيان فضله صلى الله عليه وسلم، وأن الله ختم به المرسلين، فقد أفادت (هلا) في هذا السياق التمني متواشجاً مع معنى الحث والحض على تقبل حقيقة أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات، وبه اكتملت الشرائع السماوية.

الأسلوبية البلاغية:

أسلوب تشبيه:

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الأمثال لتقريب صورة الشيء إلى ذهن المتلقين، وذلك بذكر مشبه به يعرفه السامعون، ويعايشونه في بيئتهم، وفي ذلك تقريب الصورة لهم، واختصار للمعاني الكثيرة في صورة واحدة معبرة.

في هذا الأسلوب البليغ والعبارة الفصيحة يمثّل النبي ﷺ رسالات الله إلى الأنبياء وتبليغهم ما يحتاجه الناس لإصلاح شأنهم من إرشادات وتعاليم وما شعر به الناس قبل بعثته ﷺ من الحاجة إلى مكمِّل لهذه المجموعة المختارة ببنيان فخم يُتعجَّب من فخامته وجمال تشييده إلا أنّه تنقص لبنة من زاوية فيها، فلمّا بعث الله الرسول الأعظم سدت رسالته موضع هذه اللبنة الناقصة، وكان بذلك خاتم النبيين وشريعته آخر الشرائع، ورسالَتُه أكمل الرسالات وأعظمها أثرا في تاريخ الإنسانية، فالرسالة التي جاء بها رسالةُ رحمة للعالمين كافّة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]

وفي هذا التشبيه مثّل النبيّ ﷺ نفسه باللبنة المكملة لموضع النقص من البناء ومثّل الأنبياء عليهم السلام الذين أرسلوا قبله بالبناء الحسن المحكم الذي لا ينقصه سوى موضع لبنة فارغ، فوجه الشبه منتزع من هذين التشبيهين وهو حال الشيء الجيّد الذي ينقصه نقطة فراغ كانت بحاجة إلى السدّ والتّكميل، ثم جاء بعده شيء آخر جبر موضع نقصه وسدّ موضع فراغه.

يقال إن النبي ﷺ قد ضرب هذا المثل للكفار لمّا استغربوا أن يكون باب النبوّة مسدودا، وذلك لتتقرّر هذه الحقيقة في نفوسهم،[1] وليعلموا أن لا حاجة لأيّ رسالة بعد رسالته ﷺ. والتشبيه الوارد هنا تمثيلي؛ لأنّه من قبيل تشبيه المجموع بالمجموع، فوجه الشبه منه عقلي منتزع من عدّة أمور فيكون أمر النبوّة فيه في مقابلة البنيان؛ لأنّه ﷺ "شبّه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي ما به يتمّ صلاح ذلك البيت"[2]، والرسول ﷺ هو اللبنة المكمّلة لموضع النقص، والرسالات السابقة هي البنيان، ووجه الشبه حصول التمام والاستغناء عن الحاجة إلى الزيادة مع وجود المكمِّل.

وفي اختيار اللبنة –وهي القطعة من الطين تعجن وتجبل وتعد للبناء– دون الحجر أو غيره مما يبنى به إشارة إلى التذكير بأصل البشر وهو الخلق من طين.

(1) ينظر: مبارق الأزهار، ج336/1.

(2) ابن حجر، فتح الباري، ج646/6.

الأسلوبية المعجمية:

تدرس الأسلوبية المعجمية مفردات النص، ودلالة استخدامها والحقول الدلالية التي تنتمي إليها هذه المفردات، والمعجم الذي تشكله، وانسجام ذلك كله مع غرض النص، ووجوه النفسي الشعوري.

ويقوم النص على انتقاء الألفاظ والمفردات انتقاءً خاصاً، ثم توظيفها في سياقات خاصة لتعطي دلالات خاصة.

ويعرف الحقل الدلالي بأنه مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالاتها، وتوضع تحت لفظ عام يجمعها، ونظراً لصغر نص الحديث الشريف، وقلة عدد كلماته، فقد يتكون الحقل من لفظة واحدة، ويوضح الجدول التالي تصنيف كلمات الحديث الشريف وفق عدة حقول دلالية، وذلك كما يلي:

الحقل	الكلمات التي تنتمي إليه
حقل الألفاظ الدينية	الأنبياء، خاتم، النبيين
حقل الزمان	قبلي
حقل البنيان	بنى، بنيان، زاوية، زواياه، لبنة
حقل التشبيه	مثلي، ومثل، كمثل
حقل المكان	موضع
حقل الإنسان	رجل، الناس

من خلال الجدول التالي نلاحظ أن حقل البنيان قد احتوى على أكثر عدد من الكلمات، وفي ذلك ملمح أسلوبي، في أن الشرائع السماوية هي بناء عظيم وحصن حصين، تم اكتماله وجماله برسالة محمد ﷺ، وفي البناء معنى الأمان، والاطمئنان، والحفظ من كل سوء، كذلك دين الله من تمسك بمنهجه وقاه الله من كل سوء.

ويأتي في المرتبة الثانية حقل الألفاظ الدينية والتشبيه، وهو أمر طبيعي لأن الهدف من ضرب الأمثال في الأحاديث النبوية ليس للتسلية والترفيه، بل لا بد أن يرتبط بالهدف الأسمى من ترسيخ مبادئ الإسلام، والعبودية، والعقيدة السوية.

ونظراً لأن الحديث النبوي الذي تم دراسته هو من أحاديث ضرب الأمثال، فكان لابد من تواجد الألفاظ الدالة على التشبيه، والمتمثلة في كلمة مثلي، مثل.

خاتمة

في نهاية البحث، يمكننا الخروج بالنتائج التالية:

- أدت المقاطع الصوتية في الحديث الشريف، بكافة أنواعها، ونسب تكرارها، وظيفتها في اتفاقها مع الجو العام للحديث، وساهمت في إيصال الرسالة المرجوة منه، حيث كان أغلبها من المقاطع القصيرة التي أعطت جو من التسهيل والتقريب، والمقاطع المتوسطة المنغلقة، والمفتوحة التي ناسبت الحركة في الحديث الشريف.
- حقق غلبة الأصوات المجهورة على المهموسة وضوحاً سمعياً، وتناسباً لعادات العرب في حبهم لجهارة الصوت، كما جاءت أصوات الحديث معتدلة من حيث الشدة والرخاوة، مما يعكس الجو العام للحديث من الاعتدال.
- تميز الحديث النبوي بغلبة الأسماء على الأفعال، ويرجع ذلك لأن الأسماء تضفي صفة الثبات الدائم، لعدم تقيدها بزمن معين، كما أدت الافعال في الحديث دلالات واضحة في إثبات ما جاء به الحديث من حتمية ختم الشرائع السماوية بالرسالة المحمدية.
- جاء الاستفهام بالحديث لغرض التمني مع معنى الحث والحض على تقبل حقيقة أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات، وبه اكتملت الشرائع السماوية.
- من الأسلوبية البلاغية في الحديث أسلوب التشبيه، الذي استخدم لتقريب صورة الشيء إلى المتلقين، بذكر مشبه يعرفه السامعون، ويعايشونه في بيئتهم، مما يقرب الصورة ويختصر المعاني الكثيرة في صورة واحدة معبرة.

- حقق غلبة حقل البنيان على غيره من الحقول في الحديث موضوع الدراسة ملمحاً أسلوبيا في أن الشرائع السماوية هي بناء عظيم وحصن حصين، تم اكتماله وجماله برسالة محمد ﷺ، وفي البناء معنى الأمان، والاطمئنان، والحفظ من كل سوء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: المراجع العربية

أبو حميدة، صلاح. (2000). الخطاب الشعري عند محمود درويش: دراسة أسلوبية. (ط1). غزة: مطبعة المقداد.

أنيس، إبراهيم. (1965م). *في اللهجات العربية*. ط3. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد اللز (1422هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. بيروت: دار طوق النجاة.

البكوش، الطيب. (1992م). *التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث*. ط3. تونس: المطبعة العربية.

بو دوخة، مسعود، وآخرون. (2017م). *الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية*. ط1. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب. (1423هـ). *البيان والتبيين*. ط1. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

السامرائي، فاضل. (2007م). *معاني الأبنية في العربية*. ط2. الأردن: دار عمار.

سليمان، فتح الله. (2004). الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية. (د.ط). القاهرة: مكتبة الآداب.

أبو العدوس، يوسف. (2010م). *الأسلوبية: الرؤية والتطبيق*. ط1. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

أبو علي، نبيل خالد. (2013م). *البحث الأدبي واللغوي: طبيعته– مناهجه– إجراءاته*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

عوض، يوسف. (2019م). *نظرية النقد الأدبي الحديث*. ط1. القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع.

فضل، صلاح. (1998م). *علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته*. ط1. القاهرة: دار الشروق.

المسدي، عبد السلام. (1982م). *الأسلوب والأسلوبية*. ط1. القاهرة: الدار العربية للكتاب.

الملائكة، نازك. (دت). *قضايا الشعر المعاصر*. ط5. لبنان: دار العلم للملايين.

ابن الملك، عبد اللطيف بن عبد العزيز أمين الدين. (1995م). *مبارق الأزهار شرح مشارق الأنوار*. تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. ط1. بيروت: دار الجبل.

النحوي، عدنان. (1999م). *الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام*. ط1. الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع.

ثانياً: المراجع المرومنة:

Abu Al-Adous, Youssef. (2010 AD). *Stylistics: vision and application*. (1st edition).. Amman: Dar Al Masirah for Publishing and Distribution.

Abu Ali, Nabil Khaled. (2013 AD). *Literary and linguistic research: its nature - methods - procedures*. (1st edition).. Beirut: Scientific Books House.

Al-Asqalani, Ibn Hajar. (1986 AD). *Fath Al-Bari, Explanation of Sahih Al-Bukhari*, investigation: Muhammad Fouad Abdel-Baqi and others, (1st edition). Dar Al-Rayyan Heritage.

Al-Jahiz, Amr bin Bahr bin Mahboub. (1423 AH). *Statement and clarification*. (1st edition). Beirut: Al-Hilal House and Library.

Al-Masadi, Abdel Salam. (1982 AD). *Style and stylistics*. (1st edition).Cairo: Arab Book House.

Al-Nahwi, Adnan. (1999 AD). *Style and stylistics between secularism and literature committed to Islam*. (1st edition). Riyadh: Dar Al-Nahawi for Publishing and Distribution.

Al-Samarrai, Fadel. (2007 AD). *The meanings of buildings in Arabic*. (2nd edition).. Jordan: Dar Ammar.

Angels, Nazik. (w.d). *Contemporary Poetry Issues*. (5th edition). Lebanon: House of Science for Millions.

Anis, Ibrahim. (1965 AD). *in Arabic dialects*. (3rd edition). Cairo: Anglo-Egyptian Library.

Awad, Youssef. (2019 AD). *Modern Literary Criticism Theory*. (1st edition). Cairo: Dar Al-Amin for Publishing and Distribution.

Bakush, good. (1992 AD). *Arabic Conjugation through Modern Phonology*. (3rd editon). Tunisia: Arab Press.

Bou Dokha, Masoud, et al. (2017 AD). *Stylistics, theoretical concepts and applied studies*. (1st edition). Amman: Academic Book Center.

Fadl, Salah. (1998 AD). *Stylistics taught its principles and procedures*. (1st edition). Cairo: Dar Al-Shorouk.

Ibn Almalek, Abdul Latif bin Abdul Aziz Amin Al-Din. (1995 AD). *Shining flowers explain the bright lights. Investigation: Abi Muhammad Ashraf bin Abdul Maqsoud bin Abdul Rahim*. (1st edition). Beirut: Dar Al-Jabal.